﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلْمَلَإِ مِنۢ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ مِنۢ بَعْدِ مُوسَىٰ إِذْ قَالُوا۟ لِنَبِىٍّ لَّهُمُ ٱبْعَثْ لَنَا مَلِكًا نُّقَٰتِلْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۖ قَالَ هَلْ عَسَيْتُمْ إِن كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلْقِتَالُ أَلَّا تُقَٰتِلُوا۟ ۖ قَالُوا۟ وَمَا لَنَآ أَلَّا نُقَٰتِلَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَقَدْ أُخْرِجْنَا مِن دِيَٰرِنَا وَأَبْنَآئِنَا ۖ فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ ٱلْقِتَالُ تَوَلَّوْا۟ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٢٤٦﴾﴾ [البقرة: 246]

❁ مُناسَبَةُ الآيَةِ لِمَا قَبْلَها:

القِتال كان مَطْلُوبًا مَشْرُوعًا في الأُمَمِ السّابِقَةِ بأحكامه وشروطه

ارتباط هذه الآية بما قَبْلها - كما بَيَّنَه صاحب البحر المحيط - يؤكِّد أنَّ: "مُناسَبَة هَذِهِ الآيَةِ لِما قَبْلَها ظاهِرَةٌ، وذَلِكَ أنَّهُ لَمّا أمَر المُؤْمِنِينَ بِالقِتال في سَبِيلِ اللَّهِ، وكانَ قَدْ قَدَّم قَبْلَ ذَلِكَ قِصَّة الَّذِينَ خَرَجُوا مِن دِيارِهم حَذَرَ المَوْت، إمَّا بِالقِتال أوْ بِالطَّاعُون، عَلى سَبِيلِ التَّشْجِيعِ والتَّثْبِيت لِلْمُؤْمِنِينَ، والإعْلام بِأنَّهُ لا يُنْجِي حَذَرٌ مِن قَدَرٍ؛ أرْدَفَ ذَلِكَ بِأنَّ القِتالَ، كان مَطْلُوبًا مَشْرُوعًا في الأُمَمِ السّابِقَة، فَلَيْس مِن الأحْكام الَّتِي خُصِصْتُمْ بِها؛ لِأنَّ ما وقَعَ فِيهِ الِاشْتِراك، كانَتِ النَّفْسُ أمْيَلَ لِقَبُولِه مِنَ التَّكْلِيف الَّذِي يَقَعُ بِهِ الِانْفِرادُ"[1].

وفي المضمار نفسه، قال محمد علي جميل: "لَمَّا ذكر تعالى أحكام الأسرة بالتَّفصيل، والنُّظم الَّتي تربط بين أفرادها، وسعى لإصلاحها، باعتبار أنَّها النَّواة واللَّبنة الَّتي يشاد منها صرح المجتمع الفاضل؛ ذكر بعدها أحكام الجهاد، وذلك لحماية العقيدة، وصيانة المقدّسات، وتأمين البيئة الصّالحة للأسرة المسلمة الّتي تنشد الحياة الكريمة، فلا صلاح للأسرة إلّا بصلاح المجتمع، ولا بقاء لها ولا خلود، إلّا ببقاء الحقّ وأنصاره، ولهذا أمر تعالى بالقتال، وضرب عليه الأمثال، بالأمم السّابقة، كيف جاهدت في سبيل الحقّ، وانتصرت القلّة مع إيمانها على

(1) أبو حَيَّان، البَحر المُحيط: 2/262.

الكثرة مع كفرها وطغيانها، فليست العبرة بكثرة أنصار الباطل، بل بصمود أهل الحقّ، والتزامهم له وجهادهم في سبيله"[1].

❁ شَرْحُ المُفْرَداتِ:

1) ﴿ٱلْمَلَإِ﴾: هم الأشْرافُ مِنَ النَّاسِ، وهو اسْمُ الجَماعَةِ، كالقَوْمِ والرَّهْطِ والجَيْشِ، وجَمْعُهُ أمْلاءٌ، قالَ الشّاعِرُ:

وقالَ لَها الأمْلاءُ مِن كُلِّ مَعْشَرٍ *** وخَيْرُ أقاوِيلِ الرِّجالِ سَديدُها

وأصْلُها: مِنَ المَلْءِ، وهُمُ الَّذينَ يَمْلَؤونَ العُيُونَ هَيْبَةً ورواءً، وقِيلَ: هُمُ الَّذينَ يَمْلَؤونَ المَكانَ؛ إذا حَضَرُوا، وقالَ الزَّجّاجُ: المَلَأُ: الرُّؤَساءُ، سُمُّوا بِذَلِكَ؛ لِأنَّهم يَمْلَؤونَ القُلُوبَ بِما يُحْتاجُ إلَيْهِ مِن قَوْلِهِمْ: مَلَأَ الرَّجُلُ يَمْلَأُ مِلْأَةً، فَهو مَلِيءٌ[2]، واحتجّ الأنباريّ بقوله تبارك وتعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلْمَلَإِ مِنۢ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ﴾، وبالحديث الّذي يروى عن النّبيّ ﷺ: أنّه سمع رجلاً من الأنصار بعد وقعة بدر، يقول: إنّما قتلنا عجائزَ صُلْعًا، فقال له النّبيّ ﷺ: «أولئك الملأ من قريش، لو احتَضَرْتَ فَعالَهم؛ احتقرتَ فعالَك مع فعالهم»[3].

المَلَأ هم الأشراف الَّذِينَ يَمْلَؤونَ العُيُونَ هَيْبَةً

2) ﴿ٱبْعَثْ﴾: بَعَثَ: الْبَاءُ وَالْعَيْنُ وَالثَّاءُ: أَصْلٌ وَاحِدٌ، وَهُوَ الْإِثَارَةُ، وَيُقَالُ: بَعَثْتُ النَّاقَةَ؛ إِذَا أَثَرْتَهَا، وَقَالَ ابْنُ أَحْمَرَ:

فَبَعَثْتُهَا تَقِصُ الْمَقَاصِرَ بَعْدَمَا***كَرَبَتْ حَيَاةُ النَّارِ لِلْمُتَنَوِّرِ

ويختلف البعث بحسب اختلاف ما علِّق به، فَبَعَثْتُ البعير: أثرته، وسيّرته، وقوله ﷻ: ﴿وَٱلْمَوْتَىٰ يَبْعَثُهُمُ ٱللَّهُ﴾ [الأنعام: 36]، أي: يُخْرجهم، ويُسَيِّرهم إلى القيامة، فالبَعْثُ ضَرْبان:

البَعْث ضَرْبان بَشَريٌّ قوامه التَّجدُّد والحركة، وإلهيٌّ قوامه القدرة والإرادة

بَشَريٌّ: كبَعْث البَعير، وبَعْث الإنسان في حاجة. وإلهيٌّ: وذلك

(1) محمد علي جميل، صفوة التّفاسير، ص: 140.
(2) الرّازي، مفاتيح الغيب: 6/168.
(3) الأنباريّ، الزّاهر: 2/161.

ضربان: أحدهما: إيجاد الأعيان والأجناس والأنواع، وذلك يختصُّ به الباري تعالى، ولم يقدر عليه أحد. والثاني: إحياء الموتى، وقد خَصَّ اللَّه تعالى بذلك بعض أوليائه، كعيسى عليه السلام وأمثاله، ومنه قوله ﷻ: ﴿فَهَٰذَا يَوۡمُ ٱلۡبَعۡثِ﴾ [الروم: 56]، يعني: يوم الحشر[1]، وقولهم: "بَعَثَهُ من منامه، أي: أهَبَّه، وبَعَثَ الموتى: نَشَرَهُم ليوم البعث، وانْبَعَثَ في السّير، أي: أسرع، وتَبَعَّثَ منِّي الشِعْرُ، أي: انبعثَ، كأنَّه سارَ، والبعيث: اسم شاعر من بني تميم"[2].

ومعنى الآية: أقم وعيِّنْ لنا ملِكًا نجتمع عليه.

(عسى) للتَّرَجّي في المحبوب، وللإشفاق في المكروه

3) ﴿عَسَيۡتُمۡ﴾: من عسى، قيل: فِعْل مطلقًا، وقيل: حرف مطلقًا، للتَّرَجّي في المحبوب، وللإشفاق في المكروه، واجتمعا في قوله تعالى: ﴿وَعَسَىٰٓ أَن تَكۡرَهُواْ شَيۡـٔٗا وَهُوَ خَيۡرٞ لَّكُمۡۖ وَعَسَىٰٓ أَن تُحِبُّواْ شَيۡـٔٗا وَهُوَ شَرّٞ لَّكُمۡۚ﴾ [البقرة: 216]، ويكون للشَّك، ولليقين، وقد يشبّه بكاد، وهو من اللّه تعالى إيجاب، وبمنزلة (كان) في المَثَل السائر: عَسَى الغُوَيْرُ أَبْؤُسًا[3]، وعَسَيْتُ أن أفعل كَذَا، وعَسِيتُ: قاربت، وَالْأولَى أعلَى، قَالَ سِيبَوَيْه: لَا يُقَال: عَسَيْت الفِعْلَ، وَلَا عَسَيْتُ للْفِعْلِ، قَالَ: اعلم أنَّهم لَا يستعملون عَسَى فعلك، استغنوا بِأَن تفعل عَن ذَلِك، كَمَا اسْتغنى أَكثر الْعَرَب بعَسَى عَن أَن يَقُولُوا: عَسَيا وعَسَوا[4].

والمعنى هنا: هل قاربتم ألَّا تقاتلوا كما أتوقعه منكم.

4) ﴿دِيَٰرِنَا﴾: الدّارُ: المحلُّ، يَجمعُ البِناءَ والعَرْصَةَ، كالدّارَة، وقد تُذَكَّرُ، والجمع: أُدْؤُرٌ ودِيارٌ ودِيَارَةٌ، ومِن معانيها: البلدُ، ومدينةُ النّبيِّ ﷺ والقبيلةُ، والدَّار مِن الرَّمْلِ: ما اسْتَدارَ منه، والدّنيا كما هي دار، والدّار الدّنيا، والدّار الآخرة، إشارة إلى المقرّين في النّشأة الأولى، والنّشأة الأخرى[5]، "وَقِيلَ لِلْبِلَادِ: (دِيَارٌ)؛ لِأَنَّهَا جَامِعَةٌ

(1) الرّاغب، المفردات، ابن منظور، لسان العرب: (بعث).
(2) الجوهري، الصحاح: (بعث).
(3) ابن هشام، مغني اللَّبيب: 1/132، والفيروزابادي، بصائر ذوي التّمييز: (عسى).
(4) ابن سيده، المحكم: (عسي).
(5) الفيروزابادي، القاموس المحيط، والرّاغب، المفردات: (دوَر).

لِأَهْلِهَا كَالدَّارِ، وَمِنْهَا قَوْلُهُمْ: دِيَارُ رَبِيعَةَ وَدِيَارُ مُضَرَ، وَقِيلَ: لِلْقَبَائِلِ دُورٌ، كَمَا قِيلَ: لَهَا بُيُوتٌ، وَمِنْهَا: «أَلَا أُنَبِّئُكُمْ بِخَيْرِ دُورِ الْأَنْصَارِ» الْحَدِيثَ"[1]، "وَالْأَصْلُ فِي إِطْلَاقِ الدُّورِ عَلَى الْمَوَاضِعِ، وَقَدْ تُطْلَقُ عَلَى الْقَبَائِلِ مَجَازًا، وَالدَّارُ: الصَّنَمُ، وَبِهِ سُمِّيَ، فَقِيلَ: عَبْدُ الدَّارِ، وَالدَّارَةُ دَارَةُ الْقَمَرِ وَغَيْرِهِ، سُمِّيَتْ بِذَلِكَ لِاسْتِدَارَتِهَا، وَالْجَمْعُ: دَارَاتٌ وَدَوَائِرُ"[2].

5) ﴿تَوَلَّوْاْ﴾: التَّوَلِّي: الإعْراض، والتَّوَلِّي قد يكون بالجِسْم، وقد يكون بِتَرْك الإصغاء والائتمار، قال تعالى: ﴿وَلَا تَوَلَّوْاْ عَنْهُ وَأَنتُمْ تَسْمَعُونَ ۝٢٠﴾[3] [الأنفال: 20]، والتولّي: الإعراض مطلقًا، ولا يلزمه الإدبار، فإنّ تولّي الرّسول ﷺ عن ابن أمّ مكتوم، لم يكن بالإدبار، والتّولّي بالإدبار قد يكون على حقيقته كما في قوله تعالى: ﴿بَعْدَ أَن تُوَلُّواْ﴾ [الأنبياء: 57]، وقد يكون كناية عن الانهزام، كما في قوله تعالى: ﴿ثُمَّ وَلَّيْتُم مُّدْبِرِينَ ۝٢٥﴾ [التوبة: 25]، والتَّولِّي: قد يكون لحاجة تدعو إلى الانصراف مع ثبوت العقد"[4].

التَّوَلِّي قد يكون بالجِسْم، وقد يكون بِتَرْك الإصغاء والائتمار

والمعنى هنا: أعرضوا وضيَّعوا أمر الله تعالى.

6) ﴿بِٱلظَّٰلِمِينَ﴾: يُقَال: ظَلَمَه يَظْلِمُهُ ظَلْمًا وظُلْمًا ومَظْلِمةً، فالظَّلْمُ: مَصْدر حقيقيّ، والظُّلْمُ: الاسمُ يَقُومُ مَقام الْمَصْدَرِ، وَهُوَ ظالمٌ وظَلوم، قَالَ ضَيْغَمٌ الأَسدِيُّ:

إِذَا هُوَ لَمْ يَخْفِنِي فِي ابْنِ عَمِّي *** وإِنْ لَمْ أَلْقَهُ الرَّجُلُ الظَّلُومُ

وأَصْلُ الظُّلم: الجَوْرُ، ومُجاوَزَة الحدِّ، والظُّلْمُ: وَضْع الشَّيْءِ في غَيْرِ موضعه، وَمِنْ أَمْثَالِ العَرَبِ فِي الشَّبه: مَنْ أَشْبَهَ أَباه؛ فَمَا ظَلَم،

الظُّلْمُ وضْع الشَّيْء في غيْر موضعه، وهو منهيٌّ عنه في كلّ الشّرائع

(1) الْمُطَرِّزِيّ، المغرب في ترتيب المعرب، ص: 170.
(2) الفيّوميّ، المصباح المنير: 1/202.
(3) السَّمين، عمدة الحفَّاظ: (وَلِي).
(4) الكفويّ، الكليّات، ص: 28.

قَالَ الأَصمعي: مَا ظَلَم، أَيْ: مَا وَضَعَ الشَّبَه في غَيْرِ مَوْضعه، وَفي الْمَثَلِ: مَنِ اسْترْعَى الذِّئْبَ؛ فَقَدْ ظلمَ[1]، وَرَدَ لفظ (ظَلَمَ) بمشتقاته في القرآن ثلاثمئة وخمس عشرة مَرَّة[2].

قال بعض الحكماء: الظّلم ثلاثةٌ: الأوّل: ظلمٌ بين الإنسان وبين الله تعالى، وأعظمه الكفر والشّرك والنّفاق، ولذلك قال ﷻ: ﴿إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ۝١٣﴾ [لقمان: 13]، والثّاني: ظلمٌ بينه وبين النّاس، وإيّاه قصد بقوله: ﴿إِنَّمَا ٱلسَّبِيلُ عَلَى ٱلَّذِينَ يَظْلِمُونَ ٱلنَّاسَ﴾ [الشورى: 42]، وبقوله: ﴿وَمَن قُتِلَ مَظْلُومًا فَقَدْ جَعَلْنَا لِوَلِيِّهِۦ سُلْطَٰنًا﴾ [الإسراء: 33]، والثّالث: ظلمٌ بينه وبين نفسه، وإيّاه قصد بقوله تعالى: ﴿فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ وَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ﴾ [فاطر: 32]، وقوله تعالى: ﴿وَلَا تَقْرَبَا هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ۝٣٥﴾ [البقرة: 35]، أي: أنفسهم، وقوله: ﴿وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُۥ﴾ [البقرة: 231]، وكلّ هذه الثّلاثة في الحقيقة ظلم للنّفس"[3].

❁ المَعْنَى الإِجْمَالِيُّ:

طَـلَـبُ بـنـي إسرائيل تَوْلِيَةَ مَلِك، يجمعهم تـحـت قـيـادتـه لمقاتلة أعدائهم

ألم يبلغ علمُك - أيّها الرّسول ﷺ - بإخبارنا إيّاك قِصَّةَ الوُجَهاء مِن بني إسرائيل، مِن بعد زمان موسى؟ إذ طَلبوا مِن نبيِّهم أن يُوَلِّي عليهم مَلِكًا، تَنْتَظِمُ بِهِ كَلِمَتُهم، ويَجْتَمِع بِهِ أمْرهم، ويَسْتَقِيمُ حالُهم في جِهاد عَدُوِّهم، فقال لهم نبيُّهم: هل الأمْر كما أتوقَّعه: إنْ فُرِضَ عليكم القِتال في سبيل الله؛ فإنَّكم تَجْبُنون ولا تُقاتلون ؟ فردُّوا مستنكرين تَوَقُّع نبيِّهم: وأيُّ مانِع يمنعُنا عن قتال أعدائنا وقد توافرت أسباب ذلك؟ فقد أَخْرَجَنا عدوُّنا مِن ديارنا، وأُبْعِدْنا عَن أولادنا بالقَتْل والأسْر، فلمَّا فَرَض الله عليهم القتال مع المَلِك الّذي عَيَّنه لهم؛ جَبُنوا، وفرُّوا عن القِتال، ونَكَثوا إلّا قليلًا منهم، ثَبَتوا بِفَضْل الله، فعصمهم الله وثبتهم وقوى قلوبهم، فالتزموا أمر الله

(1) ابن منظور، لسان العرب: (ظَلَمَ).

(2) وَرَدَ لفظ: (ظَلَمَ) بمشتقاته في القرآن 315، وعلى النّحو التّالي: 134 مَرَّة اسمًا مشتقًا من الثّلاثي المُجَرَّد، مَرَّتان اسمًا مشتقًا من باب: (فَعَلَ). 16 مَرَّة اسمًا بصيغة: (أَظْلَم). مَرَّتان اسمًا بصيغة: (ظالِي). مَرَّتان اسمًا بصيغة: (ظَلُوم). مَرَّتان اسمًا بصيغة: (ظَلُوم). 5 مَرَّات اسمًا بصيغة: (ظَلّام). مَرَّتان اسمًا بصيغة: (ظَلُوم). 5 مَرَّات اسمًا بصيغة: (ظَلّام). 23 مَرَّة اسمًا بصيغة: (ظُلَمَة). 20 مَرَّة اسمًا بصيغة: (ظُلْم)، 110 مَرَّة فعلًا من الثلاثي المجرد. مَرَّة فِعْلًا من باب: (أَفْعَلَ).

(3) الزّبيديّ، تاج العروس: 32/33-33.

ووطنوا أنفسهم على مقارعة أعدائه، فحازوا شرف الدنيا والآخرة، والله عليم بالظَّالمين النَّاكثين عُهودهم[1].

❁ الإيضَاحُ اللُّغَوِيُّ وَالبَلَاغِيُّ:

بلاغة العدول إلى الفصل بالاستئناف في الآية:

في الفصل بالاستئناف زيادة تأكيد لفظاعة حال التقاعس عن القتال في سبيل الله، وتكريره يفيد مزيدَ تحذيرٍ وتعريضٍ بالتوبيخ

ذكر ابن عاشور أنّ "جملة: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلْمَلَإِ مِنۢ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ﴾ استئناف ثانٍ من جملة ﴿۞أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ خَرَجُواْ مِن دِيَٰرِهِمْ﴾ [البقرة: 243] سيق مساق الاستدلال لجملة ﴿وَقَٰتِلُواْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ [البقرة: 244]، وفيها زيادة تأكيد لفظاعة حال التَّقاعس عن القتال بعد التهيُّؤ له في سبيل الله، والتَّكرير في مثله يفيد مزيد تحذير وتعريض بالتوبيخ فإن المأمورين بالجهاد في قوله: ﴿وَقَٰتِلُواْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ [البقرة: 244] لا يَخْلون من نفر تعتريهم هواجس تثبطهم عن القتال، حُبًّا للحياة، ومن نفر تعترضهم خواطر تهوِّن عليهم الموت عند مشاهدة أكدار الحياة، ومصائب المذلة، فضرب الله لهذين الحالين مثلين: أحدهما ما تقدم في قوله: ﴿۞أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ خَرَجُواْ مِن دِيَٰرِهِمْ﴾ [البقرة: 243]، والثاني: قوله: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلْمَلَإِ مِنۢ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ﴾"[2].

في الفصل بالاستئناف تشجيعٌ للنفوس على الجهاد

وقد سيق هذا الاستئناف أيضًا مساق الاستدلال، لقوله تعالى: ﴿وَقَٰتِلُواْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ [البقرة: 244]، حتّى تتشجّع النّفوس على الجهاد، وتهون عليها المصاعب، في سبيل حياة العزّة والكرامة[3].

وجه تقديم جملة الخروج من الدّيار وتأخير جملة القتال هذه:

وجه التقديم؛ ليقع التحريض على القتال بينهما، وليقع الأمر بعدها موقع القبول

وقد قدّم جملة ﴿۞أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ خَرَجُواْ مِن دِيَٰرِهِمْ﴾ [البقرة: 243] وأخّر جملة ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلْمَلَإِ مِنۢ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ﴾؛ ليقع التّحريض على القتال بينهما من ديارهم مع كثرتهم، وهذه الحالة أنسب بأن تقدّم

(1) السعدي، تيسير الكريم الرحمن، ص: 40، ونخبة من العلماء، التفسير الميسر، ص: 40.
(2) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 2/484.
(3) طنطاويّ، التّفسير الوسيط: 1/363.

بين يدي الأمر بالقتال والدفاع عن البَيْضَة؛ لأن الأمر بذلك بعدها يقع موقع القبول من السامعين لا محالة[1].

ووجـه التأخير لكونها تمثيلًا لـحـال الـذيـن عـرفـوا فـائـدة القتال في سبيل الله

"ومناسبة تأخير الثانية: أنَّها تمثيل حال الذين عرفوا فائدة القتال في سبيل الله لقولهم: ﴿وَمَا لَنَآ أَلَّا نُقَٰتِلَ﴾. فسألوه دون أن يُفرض عليهم، فلمَّا عيَّن لهم القتال؛ نكصوا على أعقابهم، وموضع العبرة هو التحذير من الوقوع في مثل حالهم بعد الشروع في القتال أو بعد كتبه عليهم، فلله بلاغة هذا الكلام، وبراعة هذا الأسلوب تقديمًا وتأخيرًا!"[2].

دلالة الاستفهام في قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلْمَلَإِ﴾:

الرَّؤْية المقصودة إمَّـا أن تـكـون بَـصَـريَّـة، وإمَّـا أن تكون عِلْمِيَّة قَلْبيّة

والاستفهام في قوله: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلْمَلَإِ مِنۢ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ مِنۢ بَعْدِ مُوسَىٰ﴾، للتَّقريروالتَّعجيب، "تقرير لمَن سَمع بقصَّتهم من أهل الكتاب وأخبار الأوّلين، وتَعجيب مِن شأنهم"[3]، والرُّؤية المَقْصُودة، إمَّا أن تكون بَصَرِيَّة، فيُنَزَّل فيها غير الرَّائي مَنْزلة الرّائي؛ لأنَّ تلك الحادثة وقعت قبل نزول القرآن الكريم بِزَمن طويل، والغَرَض مِن هذا التَّنزيل، الإشارة إلى اشْتهار تلك الواقعة، حتَّى لكأنَّها تقع ساعة نُزول الآية، وحال سَماعها، وإمَّا أن تكون الرُّؤْية عِلْميَّة قَلْبيّة، وهذا هو الأرْجَحُ، فيكون الاستفهام تحريكًا للذِّهن؛ لاستحضار حقيقة الواقعة[4].

دلالة التَّعبير بلفظ ﴿ٱلْمَلَإِ﴾:

يـوحـي التـعـبـيـر بـلـفـظ (المـلأ) بِـوَصْـف بـني إسـرائـيـل بالطّيش والسَّفَه

وفي التَّعبير بـ ﴿ٱلْمَلَإِ﴾ إيحاءٌ بِوَصْف بني إسرائيل بالطَّيْش والسَّفَه؛ لأنَّه إذا كان أشرافهم وسادتهم وعقلاؤهم بهذا القَدْر مِن الخَوَر، وبهذه المَنزلة مِن نَكْث العهود، وعدم الوفاء بِما يَقْطعون على أنْفُسِهم؛ فما بالنا بعامَّتهم؟[5].

(1) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 2/484.
(2) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 2/484.
(3) الزّمخشريّ، الكشَّاف: 1/147.
(4) المُطْعَنيّ، التَّفسير البلاغيّ للاستفهام في القرآن الحكيم: 1/130.
(5) المُطْعَنيّ، التَّفسير البلاغيّ للاستفهام في القرآن الحكيم: 1/136.

معنى حرف ﴿مِنۢ﴾ في الموضعين:

لفظ (مِن) الأُولى تَبْعِيضِيَّة، والثّانِيَة ابتدائيَّة

قوله: ﴿مِنۢ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ مِنۢ بَعۡدِ مُوسَىٰٓ﴾: فَلفظ ﴿مِنۢ﴾ الأُولى: تَبْعِيضِيَّة، فالملأ بَعْضٌ مِن قومهم، و﴿مِنۢ﴾ الثّانِيَة: لِابْتِداء الغايَة[1]، أي: ابتداء الزَّمن مِن بَعْد موسى عليه السلام.

وجه التَّعْرِيض في قولهم: ﴿مِنۢ بَعۡدِ مُوسَىٰٓ﴾:

بيان التعريض تحذير المسلمين من الاختلاف على رسولهم

وفي قولهم: ﴿مِنۢ بَعۡدِ مُوسَىٰٓ﴾ إعلام بأنّ أصحاب هذه القصة كانوا مع نبي بعد موسى عليه السلام، فإن زمانه لم يكن فيه نصب ملوك على بني إسرائيل وكأنه إشارة إلى أنهم أضاعوا الانتفاع بالزمن الذي كان فيه رسولهم بين ظهرانيهم، فكانوا يقولون: اذهب أنت وربك فقاتلا، وكان النصر لهم معه أرجى لهم ببركة رسولهم، والمقصود التعريض بتحذير المسلمين من الاختلاف على رسولهم[2].

نكتة تنكير لفظ ﴿لِنَبِيّٖ﴾:

وجه التنكير الإشارة إلى أنَّ المقصود ليس النَّبِيّ، وإنَّما حالُ القَوْمِ

وجاء لفظ ﴿لِنَبِيّٖ﴾ نَكِرَة، كما حكاه القرآن في قولهم: ﴿إِذۡ قَالُواْ لِنَبِيّٖ لَّهُمُ﴾؛ لأنَّه لا يتعلّق غَرَض بِذِكْره، ولعدم وجود مُقْتَضٍ لِتَعْرِيفِه، "وللإشارة إلى أنَّ مَحَلَّ العِبْرَةِ لَيْسَ هو شَخْصَ النَّبِي، فَلا حاجَةَ إلى تَعْيِينِه، وإنَّما المَقْصُودُ حالُ القَوْمِ وهذا دأبُ القرآن في قصصه"[3].

دلالة إيثار التّعبير بلفظ ﴿ٱبۡعَثۡ﴾، دون لفظ (أَرْسِلْ):

التَّعبير بالبَعْث يتلاءم مع حال القوم الّذين خارت قواهم، وتَفَرَّق شَمْلُهم

عبّر بلفظ ﴿ٱبۡعَثۡ﴾ في قوله: ﴿إِذۡ قَالُواْ لِنَبِيّٖ لَّهُمُ ٱبۡعَثۡ لَنَا مَلِكٗا نُّقَٰتِلۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾؛ لأنّ مادّة البعث تدور حول التّهييج والإثارة[4] بخلاف مادّة الإرسال الّتي تدور حول الرِّفق واللِّين، واليُسْر

(1) تأتي: (مِن) على خمسة عشر وَجْهًا، وابتداء الغاية أشهرها، وهو الغالب عليها، وتقع لهذا المعنى في غير الزَّمان، نَحْو: انتقلتُ مِن مَكَّة إلى المدينة. وتقع في الزَّمان، نحو: مُطِرنا مِن يوم الجمعة، ينظر: ابن هشام، مُغْني اللَّبيب: 2/14.

(2) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 2/485، والمطْعَني، التَّفسير البلاغيّ للاستفهام في القرآن الحكيم: 1/136.

(3) ابن عاشور، التَّحرير والتَّنوير: 2/485.

(4) ابن فارس، مقاييس اللّغة: (بَعَثَ).

والسُّهولة[1]، فالتَّعبير بالبَعْث يتلاءم مع حال القوم الّذين خارت قواهم، وتَفَرَّق شَمْلُهم، بعد أن استباح عدوّهم أرضهم؛ لذا كانوا في حاجة إلى مَلِك قَوِيٍّ الشَّكيمة، ينضمّون تحت لِوائه؛ ليوقظ فيهم روح العِزَّة التَّي مُحِيَت، والكرامة الّتي هُدِرت، ويَنْفُض عنهم غُبار الذُّل والهَوان، وهذا بلا شَكٍّ يحتاج إلى جهْد جَهيد؛ لذا أوثر التّعبير بالمادَّة الّتي تدلّ على الإثارة والتّهييج.

بلاغة تقديم الجارّ والمجرور:

تـقـديـم الـجـارّ والـمـجـرور أفـاد الاخـتـصـاص بالقصر

وأفاد تقديم الجارّ والمجرور في قولهم: ﴿ٱبۡعَثۡ لَنَا مَلِكٗا﴾ القَصْر؛ إذْ مقصودهم أن يُبْعَث الملِك لهم خاصَّة، لا لغيرهم، وفيه تأكيد على عَزْمهم الانقياد لأمره، والانضواء تحت لوائه.

توجيه القراءة في ﴿نُقَٰتِلۡ﴾ بين الحال المقدّرة، والاستئناف البيانيّ:

تـنـوّع الـقـراءات سـعـة في الدلالات

وقوله: ﴿ٱبۡعَثۡ لَنَا مَلِكٗا نُّقَٰتِلۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ مَجْزوم في جواب الأمْر، وقُرِئَ شاذًّا[2] بالرَّفْع عَلى أنَّهُ حالٌ مُقَدَّرَة، أي: ابْعَثْهُ لَنا مُقَدِّرينَ القِتال، أوْ مُسْتَأْنف اسْتِئْنافًا بَيانيًّا، كَأَنَّهُ قِيل: فَماذا تَفْعَلُونَ مَع المَلِك؟ فَأُجِيبَ: نُقاتِلُ[3]، و" الجَزْمُ في ﴿نُّقَٰتِلۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾، الوجهُ على الجوابِ للْمسْألَة الَّتي في لفْظِ الأمْر، أي: ﴿ٱبۡعَثۡ لَنَا مَلِكٗا﴾ نُقاتِلْ، أي: إنْ تَبعث لنا مَلِكاً نُقَاتِلْ في سبيل الله، ومن قرأ (مَلِكاً يُقَاتِلُ) بالياءِ[4]؛ فهو على صفة المَلِك، ولكن ﴿نُّقَٰتِلۡ﴾ هو الوجهُ الّذي عليه القرّاء، والرّفع فيه بعيد، يجوز على معنى: فَإنّا نقاتل في سبيل الله، وكثيرٌ مِن النَّحوِّيينَ، لا يُجِيزُ الرفْعَ فِي ﴿نُّقَٰتِلۡ﴾"[5].

(1) الرَّاغِب، المفردات: (رسل).
(2) السمين الحلبي، الدّرّ المصون: 2/515.
(3) الآلوسي، روح المعاني: 2/165.
(4) السمين الحلبي، الدّرّ المصون: 2/515.
(5) وهي قراء شاذة، ينظر: الزّجاج، معاني القرآن إعرابه: 1/326.

دلالة الاستفهام في قوله: ﴿هَلۡ عَسَيۡتُمۡ﴾:

معنى الاستفهام التَّقْرير، وفيه إلهابٌ، وتهييجٌ، وتحذير

والاستفهام في قوله: ﴿هَلۡ عَسَيۡتُمۡ إِن كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلۡقِتَالُ أَلَّا تُقَٰتِلُواْ﴾ للتَّقرير، والمعنى: هل الأمر كما أتوقّعه أنّكم لا تقاتلون؟ وهذا بناءً على مواقفهم المتخاذلة مع نَبيِّهم موسى عليه السلام، حين قالوا له: ﴿فَٱذۡهَبۡ أَنتَ وَرَبُّكَ فَقَٰتِلَآ﴾ [المائدة: 24]، أرادَ أنْ يَقُولَ: عَسَيْتُمْ ألّا تُقاتِلُوا، بِمَعْنى: أتَوَقَّعُ جُبْنَكم عَنِ القِتالِ، فَأدْخَلَ ﴿هَلْ﴾ مُسْتَفْهِمًا عَمّا هو مُتَوَقَّعٌ عِنْدَهُ ومَظْنُونٌ، وأرادَ بِالِاسْتِفْهامِ التَّقْرِيرَ، وتَثْبِيتَ أنَّ المُتَوَقَّعَ كائِنٌ، وأنَّهُ صائِبٌ في تَوَقُّعِهِ، كَقَوْلِهِ تَعالى: ﴿هَلۡ أَتَىٰ عَلَى ٱلۡإِنسَٰنِ حِينٞ مِّنَ ٱلدَّهۡرِ﴾"[1] [الإنسان: 1]، وفي هذا الاستفهام إلهاب وتهييج للكرامة الّتي سقطت، والعِزَّة الّتي خَمدت في نفوسهم[2].

بلاغة الإيجاز، والنفي في جملة الاستفهام:

قرّرهم على إضمارهم نية عدم القتال اختبارًا وسبرًا لمقدار عزمهم عليه بأوجز عبارة

قوله: ﴿أَلَّا تُقَٰتِلُواْ﴾ "مُسْتفهمٌ عنه بـ ﴿هَلْ﴾ وخبر لعسى متوقّع، ودليل على جواب الشرط ﴿إِن كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلۡقِتَالُ﴾ وهذا من أبدع الإيجاز فقد حكى جملًا كثيرة وقعت في كلام بينهم، وذلك أنه قرَّرَهم على إضمارهم نية عدم القتال اختبارًا وسبرًا لمقدار عزمهم عليه؛ ولذلك جاء في الاستفهام بالنفي، فقال ما يؤدي معنى (هل لا تقاتلون)، ولم يقل: (هل تقاتلون)؛ لأنّ المُستفهَم عنه هو الطرف الراجح عند المستفهِم، وإن كان الطرف الآخر مقدّرًا، وإذا خرج الاستفهام إلى معانيه المجازية؛ كانت حاجة المتكلم إلى اختيار الطرف الراجح متأكدة"[3].

نكتة ذكر فرضية القتال عليهم:

لم يُقَل: (هَلْ عَسَيْتُمْ إنْ بَعَثْتُ لَكم مَلِكًا ألاَّ تقاتلوا؟) بَلْ ذَكَر

(1) الرّازي، مفاتيح الغيب: 6/171 والقاسِمي، مَحاسن التَّأويل: 2/246.
(2) البِقاعي، نَظْم الدُّرَر: 3/410.
(3) ابن عاشور، التَّحرير والتَّنوير: 2/485.

عبّر بذكر فرضية القتال عليهم لِلْمُبالَغَةِ في بَيان تَخَلُّفِهِم عَنْه

فَرْضِيَّة القِتال عَلَيْهِمْ؛ لِلْمُبالَغَةِ في بَيان تَخَلُّفِهِم عَنْه، فَإنَّهم، إذا لَمْ يُقاتِلُوا عِنْد فَرْضِيَّة القِتالِ عَلَيْهِم بِإيجاب اللَّه تَعالى؛ فألَّا يُقاتِلُوا عِنْدَ عَدَم فَرْضِيَّته أوْلى، ولِأنَّ إيرادَ ما ذَكَروه، رُبَّما يُوهِمُ أنَّ سَبَب تَخَلُّفِهِم عَنِ القِتال، هو المَبْعُوث، لا نَفْس القِتال[1].

نكتة التعبير بجملة ﴿وَمَا لَنَآ﴾:

وجه التعبير بجملة (مَا لَنَا) ربطها بما قبلها، ودفع احتمال الانقطاع عمّا قبلها

ولفظ ﴿وَمَا لَنَآ﴾ رابطة لهذه الجملة بما قبلها؛ إذْ لو حذفت؛ لجاز أن يكون منقطعًا عمّا قبله، و (مَا) في محلّ رفع بالابتداء، ومعناها الاستفهام، وهو استفهام إنكار[2].

ونقل عن المبرّد: أنّ (ما) نافية، أي: ليس لنا ترك القتال، والأكثرون على أنّه للاستفهام، وأورد عليه أنّه خلاف المشهور، فإنّه لا يقال: مالك ألَّا تفعل كذا؟ وإنّما يقال: مالك لا تفعل، فعن الأخفش: أنّ (أن) زائدة، أي: ما لنا لا نقاتل، ورد بأنّ الزّيادة خلاف الأصل، ولا سيّما في كلام ربّ العزّة، وعن الفرّاء أنّ الكلام محمول على المعنى؛ لأنّ قولك: (ما لك لا تقاتل) معناه: ما منعك أن تقاتل، فلما ذهب إلى معنى المنع؛ حسن إدخال (أن) فيه، وعن الكسائيّ- واستحسنه الفارسيّ- أنّ التّقدير: (أيّ شيء لنا؟ وأيّ داعٍ أو غرض في ترك القتال؟)، فسقطت كلمة (في) على القياس"[3].

معنى الاستفهام الاستبعاد والتّعجيب من حالهم؛ إذ تخاذلوا عن قتال عدوِّهم

دلالة الاستفهام في قولهم: ﴿وَمَا لَنَآ﴾:

والاستفهام في قولهم، كما حكاه القرآن: ﴿قَالُواْ وَمَا لَنَآ أَلَّا نُقَٰتِلَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَقَدْ أُخْرِجْنَا مِن دِيَٰرِنَا وَأَبْنَآئِنَا﴾؛ للاستبعاد والتّعجيب من حالهم؛ إذ تخاذلوا عن قتال عدوِّهم الّذي أخرجهم من ديارهم، وسَبى ذراريهم، وأراد أن يستأصل شأفتهم، وقد ذَكر الملأ

(1) أبو السُّعود، إرشاد العقل السَّليم: 1/239.
(2) زاده، حاشية على البيضاويّ: 2/600.
(3) النّيسابوريّ، غرائب القرآن: 1/665.

مُسَوِّغات عَزْمهم على القتال، وهي: القِتال في سبيل اللّه، وطردهم مِن ديارهم، وحِرْمانهم مِن أبنائهم، وجملة ﴿وَقَدْ أُخْرِجْنَا﴾: حال مُعَلِّلة لاستبعادهم وتعجيبهم.

إيثار التَّعبير بـ (إنْ) دون (إذا) في قوله تعالى: ﴿إِن كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلْقِتَالُ﴾:

وفي إيثار التَّعبير بـ ﴿إن﴾ – الّتي تدلّ على الشّكّ في وقوع الشَّرْط دون (إذا) الّتي تدلّ على تحقّق وقوع الشَّرْط – في قوله: ﴿إِن كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلْقِتَالُ﴾، إشارة إلى رغبة نَبِيِّهم في عدم فرضيَّة القِتال عليهم؛ لتوقّعه تخاذلهم عنه، ولعلَّ هذا يشير أيضًا إلى شفقته عليهم، ورحمته بهم، "﴿قَالُواْ وَمَا لَنَآ أَلَّا نُقَٰتِلَ﴾، أيْ: وأيُّ سبب لنا في ترك قتال عدوّنا في سَبِيلِ اللَّهِ؟ ﴿وَقَدْ أُخْرِجْنَا مِن دِيَٰرِنَا وَأَبْنَآئِنَا﴾، أي: والحال أنّه قد عرض ما يوجب القتال إيجابًا قويًّا، من أخذ بلادنا، وسبي أولادنا، ﴿فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ ٱلْقِتَالُ﴾، بعد إلحاحهم في طلبه تَوَلَّوْا، أي: أعرضوا عن قتال عدوّهم جبنًا ﴿إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِٱلظَّٰلِمِينَ﴾[1].

إيثار التَّعبير بـ (إنْ) إشارة إلى رغبة نَبِيِّهم في عدم فرضيَّة القِتال عليهم؛ لتوقّعه تخاذلهم عنه، أو لشفقته عليهم

سرّ بناء الفعل ﴿كُتِبَ﴾ للمفعول:

وقوله: ﴿إِن كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلْقِتَالُ﴾، أي: فُرِضَ فَرْضًا لازمًا، وبَناؤه لِلْمَفْعُولِ صِيانَة لِاسْم الفاعِل عَنْ مُخالَفَة يُتَوَقَّعُ تَقْصِيرُهم بِها[2].

بناء الفعل للمفعول صِيانَةٌ لِاسْم الفاعِل عَنْ مُخالَفَة يُتَوَقَّعُ تَقْصِيرُهم بِها

سرّ بناء الفعل ﴿أُخْرِجْنَا﴾ للمفعول:

بُنِي الفعل للمفعول؛ صيانةً لاسم الفاعل عن تقصيرهم.

وفي بناء الفعل للمجهول ﴿أُخْرِجْنَا﴾، إشارة إلى القوّة الشّديدة الّتي أَخْرَجتهم، كما كشف عن الحالة النَّفسية لهم، فهم لا يُريدون مجرد ذِكْر اسم مَن أخرجهم، وهم العمالقة رهبة منهم، وللدّلالة على كمال شِدَّة السَّخَط عليهم، والغيظ منهم.

بناء الفعل للمفعول صِيانَة لِاسْم الفاعِل عَنْ تَقْصِيرِهم

(1) القاسميّ، محاسن التّأويل: 2/178.
(2) البِقاعي، نَظْم الدُّرَر: 3/410.

وجه التعريض في قوله: ﴿وَقَدْ أُخْرِجْنَا مِن دِيَرِنَا وَأَبْنَآئِنَا﴾:

في التعريض دلالة على أنّهم يريدون القتال مِن أَجْل أنفسهم، وحِرْصهم على الدُّنيا

وقولهم: ﴿وَقَدْ أُخْرِجْنَا مِن دِيَرِنَا وَأَبْنَآئِنَا﴾، تكذيب لِما ادَّعوه بأنّهم يريدون المَلِكَ ليقاتلوا في سبيل الله؛ لأنَّ قولهم: ﴿وَقَدْ أُخْرِجْنَا مِن دِيَرِنَا وَأَبْنَآئِنَا﴾، دلالة واضحة على أنّهم يريدون القتال مِن أَجْل أنفسهم، ومِن أَجْل حِرْصهم على الدُّنيا، ولو كانوا صادقين في أنّهم يريدون الجهاد في سبيل الله؛ لم يقولوا هذا القول الفاضح لِنيَّاتهم الكاشف عن طواياهم، فهو تَعْريض بِهم، وإن لم يريدوا التَّعْريض بأنفُسِهم[1].

سِرُّ التَّعبير بالدِّيار دون غيره من الألفاظ:

إيثار البيان القرآنيّ التّعبير بالدّيار، دليل على دقّة القرآن وبلاغته

لا تكاد المعاجم اللُّغويَّة تُفَرِّق بين المترادفات الثّلاثة: (البيت، المنزل، المسكن)[2]، لكن بعد التَّأمل اتَّضح سِرُّ إيثار البيان القرآنيّ التّعبير بالدّيار، في قوله: ﴿وَقَدْ أُخْرِجْنَا مِن دِيَرِنَا وَأَبْنَآئِنَا﴾، دون بقيَّة مرادفاتها: البيوت أو المساكن أو المنازل، فالدَّار: يُشار بها إلى الأرض والبِناء معًا، بخلاف البيت والمسكن الّذي يشار فيه إلى الفضاء الّذي يشغله السّاكن، والدَّار: قد يكون فيها بيت أو أكثر من بيت، وقد لا يكون فيها بَيْت إطلاقًا، مثل: دار القَضاء، أو دار الحِكْمة، كما تسمّى البلدة دارًا[3]، أمَّا المَنْزِل: فهو المكان الّذي يُنْزَل فيه بَعْد مَسير أو رَحيل، ليلًا أو نهارًا، ويَتَّضِح مِمَّا سّبق: أنّ الدّار أشمل في التّعبير عن الأرض والبناء.

ولعلّ إيثار التّعبير بها أيضًا، يدلّ على أنّ بني إسرائيل، أخرجوا مِن كامل حدود مساكنهم القريبة والبعيدة، بدليل قولهم في رَدِّهم على تَوَقُّع نَبِيِّهم وتخاذلهم: ﴿وَمَا لَنَآ أَلَّا نُقَٰتِلَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَقَدْ أُخْرِجْنَا مِن دِيَرِنَا وَأَبْنَآئِنَا﴾، فَهُمْ أُبْعِدوا إبعادًا

(1) المَطْعَني، التَّفسير البلاغيّ للاستفهام في القرآن الحكيم: 1/136.
(2) ابن منظور، لسان العرب، والجَوْهري، الصّحاح: (سَكَنَ)، (نَزَلَ)، (بَيَت)، (دَوَرَ).
(3) الرَّاغب، المُفردات: (دور).

تامًّا عن حدود الأرض الّتي كانوا يعيشون فيها، ولو قالوا: (وقد أُخْرِجنا مِن مساكننا أو بيوتنا أو منازلنا)؛ لتُوهِّم أنّهم قد أُبْعدوا فقط عَن مبانيهم الّتي يعيشون فيها، وهذا لا يؤيّده قولهم: ﴿وَقَدْ أُخْرِجْنَا مِن دِيَرِنَا وَأَبْنَآئِنَا﴾، حيث إنَّه يُشير إلى هزيمتهم هزيمة مُنْكَرة فقدوا فيها الأرض والعِرض، وجملة ﴿وَقَدْ أُخْرِجْنَا﴾: جملة حالية؛ إذ الإخراج أكبر من القتل، وأصعب منه لدوام تعبها وتألّم النّفس، فلا جرم أن يوجب القتال، وفسّر البيضاويّ الدّيار، بمعنى: الأوطان، ودلالة الوطن عليها أوضح، وقد شنّع بعضهم على البيضاويّ ذكره الأوطان بدل الدّيار، والأولاد بدل الأبناء، وعدَّه من سوء الأدب مع الله، ومن أحسن من الله قيلاً، وليس لكلامه المعجز بديلاً، وهو ما عدَّه القونويّ في حاشيته على البيضاويّ من الصّلف والتّجنّي؛ لأنّ المفسّرين جميعًا فسّروا اللّفظ بلفظ آخر؛ لتبيين المعنى، وتوضيح المبنى، وهذا المتحامل نفسه فعل ذلك في مواضع كثيرة[1].

نكتة إفْراد الأبْناء بِالذِّكْرِ

وجه الإفراد تأكيد أسْبابِ حِرْصهم على القتال.

إفْرادُ الأبْناء بِالذِّكْرِ؛ لتأكيد أسْبابِ حِرْصهم على القتال، حيث حُرِموا مِن فَلِذات أكْبادهم، ومُهَج قلوبهم، وهل يوجد أعزُّ من الأبناء عند الآباء والأمّهات؟ فإذا أصيب أحدهم بِشَوْكة؛ لا يغمض لهما جِفْن، فكيف إذا سُبوا واستُرِقُّوا؟

والمراد مطلق الأولاد، فجاز بطريق ذكر الخاصّ وإرادة العامّ

وقد أشار القونويّ إلى أنّ الأبناء يشمل الذّكور والإناث؛ لأنّهم الأشرف، وفراقهم من أقوى أسباب القتال، والمراد مطلق الأولاد، فجاز بطريق ذكر الخاصّ وإرادة العامّ، وهو من البلاغة والبراعة[2].

(1) القونويّ، حاشية القونويّ على تفسير البيضاويّ: 5/344.
(2) القونويّ، حاشيّة القونويّ على تفسير البيضاويّ: 5/344.

وجه استقامة عَطْف الأبْناءِ عَلى الدِّيارِ في قوله: ﴿وَقَدْ أُخْرِجْنَا مِن دِيَرِنَا وَأَبْنَآئِنَا﴾:

وجه العطف أنَّ الإخْراجَ يُطْلَقُ عَلى إبْعادِ الشَّيْءِ مِن حَيِّزِهِ، وعَلى إبْعادِهِ مِن بَيْنِ ما يُصاحِبُهُ

جاز التّعبير بَعطْفِ الأبْناءِ عَلى الدِّيارِ، في قوله: ﴿وَقَدْ أُخْرِجْنَا مِن دِيَرِنَا وَأَبْنَآئِنَا﴾؛ لأنَّ الإخْراجَ يُطْلَقُ عَلى إبْعادِ الشَّيْءِ مِن حَيِّزِهِ، وعَلى إبْعادِهِ مِن بَيْنِ ما يُصاحِبُهُ، ولا حاجَةَ إلى دَعْوى جَعْلِ الواوِ عاطِفَةً عامِلًا مَحْذُوفًا، تَقْدِيرُهُ: وأبْعَدَنا عَنْ أبْنائِنا[1]، وفي السّياق نفسه، "فإنّه يعني: وقد أخرج من غلب عليه من رجالنا ونسائنا، من ديارهم وأولادهم، ومن سبي.

وهذا الكلام: ظاهره العموم، وباطنه الخصوص؛ لأنّ الّذين قالوا لنبيّهم: ﴿ٱبْعَثْ لَنَا مَلِكًا نُّقَٰتِلْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾، كانوا في ديارهم وأوطانهم، وإنّما كان أخرج من داره وولده من أسر، وقهر منهم"[2].

بلاغة الفَصْل في جملة: ﴿قَالُواْ وَمَا لَنَآ أَلَّا نُقَٰتِلَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾:

الفَصْل بين الجملتين لشِبْه كمال الاتّصال

وفُصِلَت جملة: ﴿قَالُواْ وَمَا لَنَآ أَلَّا نُقَٰتِلَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾، عَمَّا قبلها للاستئناف البيانيّ، أي: شِبْه كمال الاتّصال، حيث وقعت الجملة جوابًا عن سؤال أثارته الجملة الأولى، تقديره: بِمَ أجاب الملأ نَبِيَّهم؟ أو ماذا قالوا ردًّا عليه؟[3].

دلالة أسلوب الشَّرْط:

يَكْشِف أسلوب الشرط عن سُرْعة انسلاخ القوم مِن وَعْدهم لِنَبِيِّهم بالقتال وهو مَوْطِن توبيخ وإنكار عليهم

دلَّ التَّعبير بأسلوب الشَّرْط في قوله: ﴿فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ ٱلْقِتَالُ تَوَلَّوْاْ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ﴾، على سُرْعة إخلاف القوم من بني إسرائيل الوَعْد لنبيِّهم بالقتال في سبيل الله بِمُجَرَّد فَرْضِه عليهم مع قُرْب عَهْدهم به، وهذا فيه من الغارة عليهم، والتَّوبيخ لَهُم ما فيه، ولقد

(1) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 2/486.

(2) ابن جرير، جامع البيان: 5/305.

(3) شِبْه كمال الاتِّصال: مِن مسائل الفصل والوصل، وهو أن تكون الجملة الثّانية جوابًا عن سؤال اقتضته الأولى، فتُنَزَّل منزلته، فتُفصل الثّانية عنها، كما يُفْصل السّؤال عن الجواب، وتنزيل السّؤال بالفحوى منزلة الواقع، لا يُصار إليه إلّا لِنِكات لطيفة، أشار إليها السَّكّاكي في مِفْتاح العلوم، ص: 121، وينظر: د، أحمد مطلوب، معجم المصطلحات البلاغيّة: 515-514.

ذَكَر اللّه حالهم بعدما فرض عليهم القتال؛ لِيُبَيِّن التناقض بين أقوالهم وأفعالهم، وهذا مَوْطِن التوبيخ والإنكار عليهم[1].

براعة إيثار التّعبير بـ ﴿تَوَلَّوْاْ﴾ دون غيره من متشابه اللفظ:

التعبير بـ (تولّوا) صَوَّر جُبْن القوم، وتخادلهم في صورة محسوسة مشاهدة

أوثر التّعبير بلفظ ﴿تَوَلَّوْاْ﴾ على لفظ (قعدوا)؛ لأنّه من الألفاظ الحَرَكِيَّة الكاشفة عن المعنى في صورة حِسِّية مُشاهدة تكاد ترينا القوم، وهُمْ يَنْكصون على أعقابهم، مُنْدَحِرين فارِّين مِن عَدُوِّهم، مُنْهزمين، ولو قيل: (قَعَدوا)؛ لرُبَّما تُوُهِّم أنَّهم سَيَثْبتون؛ إذا انقضَّ عليهم أعداؤهم، لكنَّ التعبير بـ ﴿تَوَلَّوْاْ﴾، أرانا القوم، وهم يَنْحدرون، في خبط عشواء، لا يَلْوون على شيء، وهم يَهيمون في الأرض، فِرارًا مِن عدوِّهم، فصَوّر جُبْنهم وتخادلهم، في صورة مرئيَّة محسوسة، وهَذا شَأْنُ الْمُتْرَفِ الْمُنَعَّم، مَتى كانَ مُتَلَبِّسًا بِالنِّعْمَةِ، قَوِيَ عَزْمُهُ، وأنِفَ، فَإذا ابْتُلِيَ بِشَيْءٍ مِنَ الخُطُوبِ؛ ذُلَّ، وهَؤُلاءِ القَليلُ ثَبَتُوا عَلى نِيّاتِهِمُ السّابِقَةِ، واسْتَمَرَّتْ عَزائِمُهم عَلى قِتالِ أعْدائِهِم[2].

دلالة التّذييل في قوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ عَلِيمُۢ بِٱلظَّٰلِمِينَ﴾:

في التذييل وعيدٌ وتهديد للمتخاذلين عن القتال في هذه الآية

وذُيّلت الآيةُ الكريمةُ بقوله: ﴿وَٱللَّهُ عَلِيمُۢ بِٱلظَّٰلِمِينَ﴾، وهو وعيد لهم على ظُلْمهم بالقعود عَنِ القِتالِ وتَرْكِ الجِهادِ وتَنافي أقْوالِهِمْ وأفْعالِهِمْ[3]، قال أبو حيّان: "﴿وَٱللَّهُ عَلِيمُۢ بِٱلظَّٰلِمِينَ﴾ فيه وَعِيدٌ وَتَهْدِيدٌ لِمَنْ تَقَاعَدَ عَنِ الْقِتَالِ بَعْدَ أَنْ فُرِضَ عَلَيْهِ بِسُؤَالِهِ وَرَغْبَتِهِ، وَأَنَّ الْإِعْرَاضَ - عَمَّا أَوْجَبَ اللَّهُ عَلَى الْعَبْدِ - ظُلْمٌ؛ إِذِ الظُّلْمُ وَضْعُ الشَّيْءِ في غير موضعه"[4].

(1) النّيسابوريّ، غرائب القرآن: 1/665.
(2) أبو حَيَّان، البحر المحيط: 2/265، والمطعني: التفسير البلاغي للاستفهام: 1/136.
(3) الزَّمْخشري، الكشَّاف: 1/148، وأبو السُّعود، إرشاد العقل السَّليم: 1/240.
(4) أبو حَيَّان، البحر المحيط: 2/573.

❁ الفُرُوقُ المُعْجَمِيَّةُ:

البعث والإرسال:

عبّر بلفظ (ابعث) في قوله: ﴿إِذْ قَالُواْ لِنَبِيّٖ لَّهُمُ ٱبۡعَثۡ لَنَا مَلِكٗا نُّقَٰتِلۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِۖ﴾؛ لأنّ مادّة البعث تدور حول التّهييج والإثارة، يقال: بَعَثْتُ النَّاقَةَ؛ إِذَا أَثَرْتَهَا، وقوله ﷻ: ﴿وَٱلۡمَوۡتَىٰ يَبۡعَثُهُمُ ٱللَّهُ﴾ [الأنعام: 36]، أي: يخرجهم، ويسيرهم إلى القيامة، وَقَالَ ابْنُ أَحْمَرَ:

فَبَعَثْتُهَا تَقِصُ الْمَقَاصِرَ بَعْدَمَا *** كَرَبَتْ حَيَاةُ النَّارِ لِلْمُتَنَوِّرِ[1]

بخلاف مادّة الإرسال الّتي تدور حول الرِّفق واللِّين، واليُسْر والسُّهولة، يقال: ناقة رِسْلَةٌ: سهلة السّير، وإبل مَرَاسِيلُ: مُنْبَعِثة انبعاثًا سَهْلًا، ومنه: الرَّسُولُ المنبعث، وتصوّر منه الرّفق، فقيل: على رِسْلِكَ؛ إذا أمرته بالرّفق[2]، فالتّعبير بالبَعْث يتلاءم مع حال القوم الّذين خارت قواهم، وتَفَرَّق شَمْلُهم، بعد أن استباح عدوّهم أرضهم، واستَرَقَّ أبناءهم، وسَبى نساءهم؛ لذا كانوا في حاجة إلى مَلِك قَوِيٍّ الشَّكيمة، ينضمّون تحت لِوائه؛ ليوقظ فيهم روح العِزَّة التَّي مُحِيَت، والكرامة الّتي هُدِرت، ويَنْفُض عنهم غُبار الذُّل والهَوان، وهذا بلا شَكٍّ يحتاج إلى جهْد جَهيد؛ لذا أوثر التّعبير بالمادَّة الّتي تدلّ على الإثارة والتّهييج.

(1) ابن فارس، مقاييس اللّغة: (بَعَثَ).
(2) الرَّاغِب، المفردات: (رسل).

عنوان الكتاب:
موسوعة التفسير البلاغي، المجلد الثالث، سورة البقرة من الآية 181 إلى الآية 247
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
*
التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
سنة الطبع: 1444هـ - 2023م
©حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي
الطبعة الأولى: 2023م
*
الفهرسة الوصفية أثناء النشر:
مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366
م ق. ت
التفسير البلاغي للقرآن: سورة البقرة من الآية 181 إلى الآية 247 [إشراف مجمع القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث ؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغانمي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة : منشورات القاسمي، 2023.
مج. 3 ، 800 صفحة ؛ 24x17 سم.
ردمك : 978-9948-798-54-5
يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.
مج. 3 : سورة البقرة من الآية 181 إلى الآية 247.
1-القرآن - تفاسير نحوية 2- القرآن، بديع 3- القرآن، بلاغة 4- القرآن - سور وآيات 5- القرآن- ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).
قسم الدراسات والبحوث ج- المستغانمي، امحمد صافي

الترقيم الدولي : 978-9948-798-54-5
*
إذن طباعة رقم: MC-03-01-1789539 بتاريخ 2023/03/10م،
مكتب تنظيم الإعلام، وزارة الثقافة والشباب، الإمارات العربية المتحدة
*
الفئة العمرية : E
«تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري الصادر عن المجلس الوطني للإعلام»
*
الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE
الإخراج الفني: عاصم محمد زكي «النجار»